ندوة: العلاقات العربية ـ الكردية

إعداد: فاروق حجي مصطفى

المشاركون: شيركو بيكه س، خالد عثمان، آزاد علي

فاروق حجي مصطفى: برز في الفترة الأخيرة الكثيرُ من العتب من قبل غالبية المثقفين حول العلاقات العربية ـ الكردية. فكيف تُقيّمون هذه العلاقة؟

شيركو بيكه س: يقال انْ لا شيء خارج التاريخ، وبهذا المعنى يجب أن نعود إلى ما جرى في الماضي وإلى مفاصله المهمة كي نفهم ما يجري اليوم. فبعد الحرب العالمية الأولى، وبعد معاهدة سايكس ـ بيكو، تمّ تقسيمُ كردستان دون أن يُؤْخذ في الاعتبار رأيُ شعبها، بين تركيا وإيران والعراق وسورية. وفيما بعد أُلحقتْ مدينةُ الموصل، التي كانت أكثريةُ سكّانها من الكرد، قسرًا بالدولة العراقية الوليدة. ببساطة، بدت المسألة لعبةَ تقسيمٍ للغنائم بين الدول الاستعمارية، وبالتحديد بين بريطانيا وفرنسا وهكذا أُنشئت الدولةُ العراقيةُ بعد أن ابتَلَعَتْ جزءًا من الوطن الكردي. لذا فمن نافلة القول إنّ خريطة العراق الحالية هي خريطة مزيّفة رسمتْها المصالحُ الاستعماريةُ وفق أهوائها، ولم يختر الشعبُ الكردي هذا المصيرَ بنفسه.

أعود إلى سؤالك وأقول إنّه منذ تشكيل الدولة العراقية في مطلع العشرينيات من القرن الماضي، وخلال ٨٢ سنة من العهود السابقة سواء كانت ملكيةً أو جمهوريةً، وامتدادًا إلى فترة حكم الدكتاتور صدّام التي دامت ٣٥ سنة، لم يتمتع الفرد الكردي في كردستان ـ العراق بحقوقه القومية، بل كان مواطنًا من الدرجة الثانية. وما يقال عن تلك العهود، وما أُعلِنَ من وعودٍ وشعاراتٍ ودعاياتٍ صاخبة حول تمتُّع الشعب الكردي بحقوقه كالحكم الذاتي، لم يكن سوى مسرحيات دراماتيكية لكسب الوقت من قِبل السلطات الحاكمة ولخداع الشعب الكردي وإلهائه عن حقوقه المشروعة وامتصاص نقمته. ويمكنني القول بأنّ ما ناله الشعبُ الكردي من بعض حقوقه الثقافية في بعض الفترات لم يكن إكرامًا وتفهمًا للوضع الكردي من قِبل الحكومات، بل نتيجة لانتفاضاته وحركاته المسلحة المتواصلة: منذ حركات الشيخ محمود الحفيد قبل العشرينيات من القرن الماضي، إلى حركات بارزان وثورةِ أيلول، وصولاً إلى انتفاضة آذار (مارس) ١٩٩١ بمعنى آخر، إنّ الشعب الكردي انتزَعَ بعضًا من حقوقه بالنضال والكفاح المسلح، إذ لم تكن لدى السلطات العراقية المتعاقبة أيةُ نيّةِ تعاطفٍ تجاه الكرد، خاصةً بعد تسلّم البعث مقاليدَ السلطة المطلقة في العراق. فاتّفاق آذار عام ١٩٧٠، مثلاً، بين قيادة البعث والقيادة الكردية بزعامة الملاّ مصطفى البارزاني، كان اتّفاقًا ظاهريًا، لأنّ السلطات العراقية لم تكفّ عن مخططاتها لضرب الحركة الكردية وتشريدِ آلاف الكرد وطردهم من بغداد والمدن الأخرى إلى إيران بذريعة تبعيتهم الإيرانية لكونهم من الشيعة. وفي السنة الثانية قامت السلطاتُ العراقية بمحاولة فاشلة لاغتيال مصطفى البارزاني إذن، في الوقت الذي كانت السلطة البعثية تطبّل وتزمّر «للحكم الذاتي» و«للحقوق القومية للشعب الكردي،» كانت تخطط للشعب الكردي مؤامرةً بغيضةً كبرى.

أما لبّ المشكلة فهو أنّنا في هذه الأوطان مُبْتَلون بالأفكار المتطرفة والعنصرية التي كانت السببَ الرئيسي لكلّ مآسينا. وبدون المراجعة الجذرية لتلك الأفكار الشمولية وانتقادِها بجرأةٍ لامتناهية، لا مَخْرَجَ لحلّ إشكالياتنا، ولا حلّ للقضايا الجوهرية هنا وهناك ـ ومنها حلُّ القضية الكردية، أو حلُّ القضية الأمازيغية التي تُشْبه قضيتَنا إلى حد بعيد (ذلك أنّ الملايين من الأمازيغيين محرومون من أبسط حقوقهم القومية بعد صهرهم وإذابتهم في بوتقة القومية العربية).* ولكنْ لا يعلو صوتٌ على صوت الحرية مهما طال الزمن، وإنّ انفتاح العقل العربي على الآخرين هو الذي يَكْفل الحلّ الجذري لتلك القضايا.

خلاصةُ القول إنّ الإشكالية الأولى للعلاقة العربية ـ الكردية تَكْمن في عدم استماع القومية المتسلِّطة في العراق لما يَطْلبه الشعبُ الكردي من نيل حق تقرير مصيره. والحال أنّه يستوي في ذلك تجاهُل السلطة الحاكمة وتجاهلُ أكثرية الأحزاب العربية الموجودة على الساحة العراقية اليوم.

* ـ ستكرّس المجلة في العدد المزدوج ٩/١٠، ٢٠٠٤ ملفًا كاملاً بعنوان «العروبة... بعيون أمازيغية.» (الآداب)

محمود الحفيد، قائد الثورة الكردية في أوائل العشرينيات وأمير ولاية السليمانية

آزاد علي: الأستاذ شيركو تحدَّث عن تاريخ العلاقة، ولهذا لا أستطيع أن أضيف شيئًا إلى ما قاله لكنِّي سأَنْظر إلى الموضوع من جوانب أخرى فأقول: إنّ العلاقة العربية ـ الكردية هي من الاتساع والتنوُّع بحيث لا يُمْكن حصرُها في مجالٍ وصفي. وإذا تجاوزنا هذا التعميمَ الشديدَ في صيغة السؤال، فسنجد أنّ العلاقة الراهنة لا تَنْسجم مع دفء العلاقات التاريخية بمستوياتها الاجتماعية والدينية والجغرافية الطبيعية. وأعتقد أنّ الوقت ليس مناسبًا لتبادل التهم، لكنّ «الطرف العربي» كان سيكون أكثرَ قدرةً على التأثير في حسن مسار هذه العلاقة والتحكّم بمحدّداتها لأنّه هو الطرفُ الأقوى نتيجةً لجملة من العوامل؛ غير أنّه استرخى واستمتع بمميِّزات القومية المهيمنة في المحصّلة، فحَدَثَ ما حَدَثَ!

خالد عثمان: أنا أيضًا أريد أن أرجع إلى تاريخ العلاقة بين العرب والأكراد. ولا شك أنّ العصر الإسلامي كان تتويجًا لهذه العلاقة، وكان الاتصال الأول عام ١٨ هـ، أيْ بعد فتح حلوان في تركيا وتكريت في العراق بقيادة سعد بن أبي وقّاص والقعقاع عمر، إذ بلغ الاتحادُ الكردي ـ العربي أوجَه في التصدي للاستعمار الأوروبي باسم الحملات الصليبية على أرض فلسطين وبلاد الشام ومصر. في ذلك العهد الذي اتَّخذ الشكلَ الإسلامي بقيادة صلاح الدين الايوبي، امتزجت الثقافاتُ الكرديةُ والعربيةُ، وانصبّ اهتمامُ علماء الأكراد على تعلم اللغة العربية وتعمّقوا فيها لكونها لغةَ القرآن. أما في مرحلة التاريخ الحديث، وعهدِ إمارة إبراهيم باشا الملي في الجزيرة السورية في القرن التاسع عشر تحديدًا، فقد نُسجتْ علاقةٌ متينةٌ مع الدولة الخديوية في مصر، ونذكّر هنا بتدخّل الخديوي إسماعيل للمصالحة بين إبراهيم باشا والسلطان العثماني. وشكّلتْ مصر قاعدةً لنضال الأكراد الهاربين من السلطنة العثمانية، على صعيد النشاط الإعلامي والثقافي. ونُذكّر أيضًا بأنّ صحيفة **كردستان**، التي مُنعتْ في استانبول من قِبل السلطنة العثمانية بسبب تحريضها الشعبَ الكردي على الثورة ومطالبتها بالحقوق القومية، قد تأسستْ في القاهرة في مطابع الهلال في ٢٢/٤/١٨٩٨. كما ظهر العديدُ من المطبوعات التي تدعو إلى التضامنَ بين الحركتين الكردية والعربية. وقد ساهم من الجانب اللبناني، مثلاً، نجيب عازوري الذي دعا في كتاباته إلى تحالف العرب والأكراد أمام الخطر العثماني. ومن جهة ثانية، لم يكن تعاطفُ الكرد مع نضال العرب، كما يقول الدكتور م. س لازارييف، أفلاطونيًا؛ بل سرعان ما انتقل التأييدُ الكردي إلى الثوار اليمنيين، وبوشر بجمع الأموال لمساندة قضيتهم.

فاروق حجي مصطفى: تقولون إنّ العلاقة في سياقها العام غير منسجمة في المحصّلة، برغم وجودها قويةً عبر التاريخ. برأيكم، لماذا تراجعتْ هذه العلاقة؟ ثم ألا تتفقون معي على أنّ الخطاب الموجّه، خصوصًا الخطاب الكردي، يتحمّل هذه المسؤولية؟ بعبارة أخرى، ألا تَروْن معي أنّ هذا الخطاب كان خطابًا قاصرًا بعيدًا عن الشفافية والتأثير؟

شيركو بيكه س: بالرغم من أنّ الخطاب الكردي كان متمثِّلاً في نهج الأحزاب الكردية، فإنّه خلال نصف قرن تقريبًا كان خطابًا معتدلاً. ذلك أنّ المطالبة الكردية اقتصرتْ على الحقوق الثقافية، وبعدها على نوعٍ من الحكم الذاتيّ، وانتهت أخيرًا إلى الفيدرالية داخل إطار الجمهورية العراقية. إذن لم تطالِبْ أيةُ حركة كردية أو أيٌّ من الأحزاب الكبيرة طوال نصف قرن تقريبًا بالانفصال أبدًا. ولكنْ رغم كل هذا فإنّ الاتهام بـ «الانفصالية» جاهزٌ في أفواه المثقفين العرب دومًا، حتى وإنْ طالب الأكرادُ بأدنى الحقوق هنا أريد أن أسأل: لماذا يكون الانفصالُ شيئًا معيبًا؟! إنّ «الانفصال» هنا يعني الاستقلالَ، وهو استقلالُ شعبٍ وعيشُه على أرضه، فلماذا يكون جريمةً، خاصةً أنّ الشعب الكردي أُلحق قسرًا بالدولة العراقية؟ ومن حقي أن أتساءل أيضًا: هل مطالبةُ الشعب الفلسطيني بتشكيل دولته القومية وانفصاله عن الدولة الإسرائيلية حقٌّ أمْ لا؟ قد لا يرضى البعضُ بهذه المقارنة، لكنّني أقول صراحةً إنّ الجرائم التي ارتكبتْها الدولةُ العراقيةُ بحق الشعب الكردي ـ وخاصةً إبّان حكم البعث ـ لا تقلّ فظاعةً عمّا ارتكبتْه الدولةُ الإسرائيليةُ تجاه الشعب الفلسطيني!

آزاد علي: الخطاب الكردي كان قاصرًا بالتأكيد ولكنّ الطرف العربي ـ وخاصةً المثقف العربي الذي ينبغي أن يهتمّ أكثرَ من غيره بمعرفة الأكراد ـ يتحمّل هو أيضًا المسؤولية. فقد أَهْمل هذا الشعبَ: ثقافةً، وتاريخًا، ووجودًا جغرافيًا وسكانيًا ملموسًا في الجوار العربي. ويبدو أنّ حالة من الاستخفاف قد سادت الوسطَ الثقافي العربي، بمعنى أنّ الموضوع الكردي لم يكن جديرًا باهتمامه؛ وتَرفَّعَ البعضُ عن مقاربته؛ كما أنّ البعض الآخر تعمَّدَ تجاوُزَه بل وتشويهَه أحيانًا. والمفارقة أنّ كتب التراث العربي ـ الإسلامي تتضمن نصوصًا مطوّلةً تعالج التاريخَ الكردي والجغرافيةَ السكانية الكردية. ويبدو أنّ الموضوع الكردي تحوّل إلى إشكالية سياسية في الوعي الثقافي العربي المعاصر، وبناءً على المواقف السياسية من الطرفين تكوّنتْ هذه العلاقةُ غيرُ الموضوعية التي انطوت على الكثير من محاور الخلاف لا الوفاق.

فاروق حجي مصطفى: هناك تقريبًا اتفاق بيننا على أنّ الخطاب كان قاصرًا، لأنه لم يستطع إزالةَ التصورات التي حملها المثقفون العرب باتهامهم للتنظيمات الكردية بأنها تنظيمات تسعى إلى الانفصال ونحوه. برأيكم، كيف نزيل هذه التصورات؟

شيركو بيكه س: إنّ الفهمَ الخاطئَ الذي يَسُود معظمَ المثقفين العرب ينطلق من أنّهم يعتبرون العراقَ وطنًا واحدًا ولشعب واحد فقط. وهم في هذه الحال ينسون انتماءَ الأكراد وحقيقتَهم، مع العلم أنّ التاريخ يقول إنّ إلحاق الجزء الجنوبي من كردستان بالعراق قسرًا يعود إلى ٨٢ سنة فقط ! فقبل ذلك التاريخ كنّا جميعنا تابعين للدولة العثمانية وكان العراق يتكون من ثلاث ولايات هي الموصل وبغداد والبصرة، وكان الجزءُ الأكبر من ولاية الموصل هو أرض كردستان التي عاش عليها الشعبُ الكردي منذ آلاف السنين وقبل أن تُعتنق الديانةُ المسيحيةُ أو الإسلاميةُ كانت للكرد ديانتُهم الزرادشتيةُ. وقد تحدّث الثائرُ والرحالةُ اليوناني «كزنفون» في رحلته الشهيرة، **عودة عشرة آلاف فارس**، قبل ميلاد السيد المسيح بأكثر من ٢٠٠ سنة، عن هذا الشعب وهو يمرّ ببلادهم عائدًا إلى وطنه اليونان.

إنّ ما أودّ قولَه هنا هو أنّ الشعب الكردي قديمٌ قِدَمَ التاريخ، وهو ليس من هامش التاريخ أو جزءًا من شعب آخر كما يدّعي المتعصّبون من الفرس والترك والعرب؛ أيْ أنّنا كنّا كردستانيين قبل أن نكون عراقيين أو إيرانيين أو أيَّ شيءٍ آخر لذا، فإنّ أولَ ما يجب أن نتفق عليه هو أن نعترف بأنّ الشعب الكردي، كأيّ شعب آخر في العالم، له خصوصيتُه القومية، ومن حقّه أن يعيش على أرضه «كردستان» حرًا ومستقلاً. وبدون هذا الاعتراف الواضح والصريح بحقّ تقرير مصير هذا الشعب ونيل حقوقه المشروعة، بما فيها تكوينُ دولته المستقلة، لا نستطيع أن نَفْتح حوارًا جادًا في ما بيننا؛ أيْ أنّني مثلاً لا أستطيع أن أحاور شخصًا قرَّرَ سلفًا ومسبَقًا أنّ الشعب الكردي جزءٌ من الشعب العربيّ وأنّ كردستان جزء من الوطن العربي أو التركي أو الفارسي ذلك لأنّ الاعتراف بحق الآخر في الحياة والوجود هو المفتاح الأول للحوار أو لحلّ الإشكاليات مهما كان نوعُها

إنّ الشوفينية العربية منذ نشوء البعث في العراق كانت باديةً للعيان في أدبيات هذا الحزب وطروحاته الفكرية المغلقة فقد جاء في الكتابات الأولى لميشيل عفلق: «يُجلى ويُبْعد من الوطن العربيّ كلُّ مَنْ تكلّم بلسانٍ غير عربي!» وبعد سنوات من استيلاء البعث على السلطة في العراق بادر البعثيون إلى تطبيق مقولتهم على الواقع العلمي، وخاصةً بعد تسلم الديكتاتور صدّام حسين الحكْمَ عقب تصفياتٍ دمويةٍ داخل البعث. فبدأ بتطبيق خططه الجهنمية في كردستان، من التهجير والتبعيث والتعريب. ثم وَصَلَ الأمرُ إلى عمليات الأنفال عام ١٩٨٨، وقصفِ مدينة حلبجة الكردية بالأسلحة الكيماوية، فراح ضحيةَ الأنفال أكثرُ من ١٨٢ ألف إنسان، وقُتِل خمسةُ آلاف في حلبجة المنكوبة لقد مارس البعثُ الصدّامي، وعلى مرأى العالم ومسمعِه، سياسةَ الإبادة الجماعية. وأَحْدَثَ سكوتُ الإعلام الرسميّ العربي، وسكوتُ معظم المثقفين العرب على تلك الجرائم، بل ومباركتُها في بعض الأحيان، جرحًا عميقًا في قلوب الملايين من الكرد ـ وهي جروحٌ

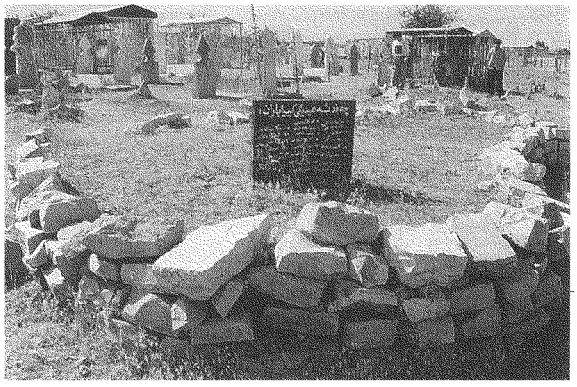

قبر جماعي في حلبجه

لن تلتئم أبدًا إلاّ بالاعتراف الكامل بحقوق الشعب الكردي، بما في ذلك تكوينُ دولته القومية على أرضه

إذن المشكلة هي في العقلية التي يُنْظر بها إلى الأمور. فثمة عقليتان: منفتحة أو منغلقة، جريئة أو خوّافة، متقدّمة أو متخلّفة، إنسانية أو عنصرية. والإشكالية الأولى هي في الانغلاق العقلي العربي تجاه الشعب الكردي: إنّهم [معظم العرب] يعوِّضون عن قهرهم بقهر الشعب الكردي، ويفكِّرون بعقلية السادة والفاتحين لا بعقلية المنفتح على العالم والقضايا المصيرية للشعوب الأخرى. فما عدا قلةً قليلةً من المثقفين العرب الذين يُعَدُّون على أصابع اليد، فإنّ معظمهم هم من الصامتين الذين ليست لهم أيّةُ مواقف إنسانية تجاه الشعب الكردي. أنا لا أستطيع أن أتصوَّر مثقفًا يَصْمت إزاء ذبح شعبٍ بكامله، مع أنَّه يقف قرب الضحية تمامًا، ويتحدَّث في كتاباته عن الحرية وحقوق الإنسان والديمقراطية. فعَجَبي من هؤلاء «المثقفين»! وباعتقادي أنّ السبب يعود إلى أنّ الكثرة الكاثرة من المثقفين العرب تابعون للإعلام السلطوي ووَضَعوا عقولَهم في خدمة ذلك الإعلام، لذا فإنَّهم لا يمثِّلون إلاّ الثقافة السلطوية. وهكذا ترى البعضَ منهم يَهْربون من الجواب الصريح، وخاصةً حين يُطلب منهم اتّخاذ موقف واضح. أمّا في جلساتهم الخاصة فإنَّهم يُطْلقون العنانَ لأحاديثهم لكونهم بعيدين عن أية رقابة وهذه هي الازدواجية بعينها، إذ إنّ الأقنعةَ في جيوبهم يَسْتخدمونها كيفما يشاءون حسب الحاجة والمكان والموقف.

آزاد علي: باعتقادي أنّ الحديث عن دعوى الانفصال تحتاج إلى الكثير من النقاش: فقضية الشعب الكردي السياسية هي قضيةٌ تهمّ المنطقةَ وتخصّ دولاً وشعوبًا أخرى أيضًا، وخاصةً الأتراك والفرس إنّ المسألة ليست مؤامرةً ضدّ العرب ولا ضد الحكومات العربية الحاكمة للأكراد ومهما يكن تصوُّر بعض الأوساط العربية لمسألة «حقّ الانفصال،» أو حقِّ تقرير المصير بصيغة أدقّ، فإنّ هذه المسألة ليست جريمة بحدّ ذاتها، لا بل هي من أساسيات حقوق الإنسان؛ ومن ثم لا أجد ضرورةً للدفاع عن الذات والتبرُّؤ من هذه «التهمة»! ويبدو أنّ الثقافة المعاصرة لشعوب المنطقة ليست ثقافة ديموقراطية لأنَّها لا تتركّز أساسًا على حقوق الإنسان وحقّ الشعوب في تقرير مصيرها السياسي. كما أنّ الحكومات المنبثقة من هذه الشعوب أقلُّ ديموقراطيةً وأكثرُ شموليةً وتنكُّرًا لحقوق الأكراد المسألة ليست في إزالة سوء الفهم، وإنّما في البحث عن الجذور المعطوبة للفكر الشمولي الإقصائي للقوميتيْن الطورانية التركية والعربية، إذ من هذه الجذور اشتُقّتْ مسألةُ «الانفصال» كصيغة من صيغ رد الفعل.

خالد عثمان: أعتقد أنّ وجود تلك التصورات كان نتيجةً لبروز أحزاب قومية وأحزاب عنصرية شوفينية حَوّلت العلاقةَ بين الشعبين العربي والكردي إلى فتور، بل وخَلَقَتْ هوةً كبيرةً بينهما أنا سأتحدَّث هنا عن أكراد لبنان الذين باتوا على هامش المجتمع اللبناني بسبب ظروف الهجرات إلى هذا البلد: فهجراتُ أكراد لبنان كانت على عكس هجرات القوميات الأخرى، إذ وَضَعَ الأكرادُ أنفسَهم ضمن مجمّعات سكنية، وحُرِموا من أبسط الحقوق المدنية، وعاشوا فتراتٍ تتجاوز عشرات السنوات محرومين من الهوية الوطنية. وقد دفعهم ذلك إلى عدم إرسال أولادهم إلى المدارس، وإلى عدم التحصيل في المجال العلمي، وأدّى من ثم إلى عدم انخراطهم ضمن النسيج الوطني اللبناني. لماذا؟ لأنَّهم لم يحصلوا على الجنسية نتيجةً للنظرة العنصرية من قِبل أعلى الطبقات اللبنانية وأدناها أضفْ إلى ذلك أنّ النظام اللبناني الطائفي يَعْتبر أنّ الأكراد مسلمون سُنّة، ولا تعترف الدولة بأنّ الأكراد قومية في حد ذاتها بل تصنِّفهم بأنَّهم طائفة أو مذهب

فاروق حجي مصطفى: يقول آزاد: «لا أجد ضرورةً للدفاع عن الذات.» إذن، لماذا هذا الخوفُ الكردي من الجهات العربية، والقولُ بأنَّها تسعى إلى صهر جميع الأقليات القومية في بوتقة الأمة العربية؟ وكيف يتوافق الأكراد مع شعار الأخوّة مع العرب، في حين أنّهم شغوفون بالدفاع عن وجودهم القومي؟

شيركو بيكه س: أعتقد أنّ زمن مقولة «صَهْر جميع الأقليات في بوتقة الأمة العربية» قد ولّى. هذه المقولة تخريجةُ العقل المتخلِّف والعنصري. لقد تغيَّر العالمُ كليًا، وأحدُ الأسباب التي أدّت إلى عزل العرب وعدم التجاوب مع المتغيرات العالمية هو تقوقع سلطة تلك العقليات السياسية في مواقعها منذ أكثر من قرن؛ ذلك أنّ الخطاب الذي كان سائدًا في أوائل الأربعينيات هو خطاب ميشيل عفلق وصدّام حسين نفسه.

أمّا شعار «الأخوّة،» فأية أخوّة هذه التي تَسْمح للأخ الكبير بأن يقتل الأخَ الصغير؟! وكيف بشعار «كلّنا مسلمون،» في حين أنّ الذي قتلني دومًا كان مسلمًا، لا مسيحيًا أو يهوديًا؟!

آزاد علي: لقد أثبتت الأيامُ فشلَ سياسة الصهر القومي والعرقي وعدمَ قدرتها على التأسيس لقوميات كبيرة على حساب قوميات أو مجموعات إثنية أصغر، ليس في البلاد العربية وحسب، وإنّما على الصعيد العالمي أيضًا وأعتقد أنّ هذه السياسة كانت من مُفْرَزات المراهقة السياسية لأحزاب قومية حالمة بدول متجانسة قومية ومصنَّعة تصنيعًا إثنيًا حدث ذلك تاريخيًا تحت تأثير فكر أوروبي تجريبي، وتحت تأثير النزعة الرومانسية القومية في القرن التاسع عشر.

خالد عثمان: في اعتقادي أنّ مواجهة الصهر العنصري يكون عبر دعم شعار الأخوّة، وترسيخِه في أذهان الشعب الكردي والعربي. وعلى الأقل مطلوب منا نحن الأكرادَ أن نحارب الأفكارَ العنصرية وفكرةَ «لا يفلّ الحديدَ إلاّ الحديدُ» بأفكار موضوعية تنسجم مع التطور العلمي الحاصل.

فاروق حجي مصطفى: ولكنْ أليس من الخطإ أن نطلب من العرب أن يفكروا بالطريقة التي نفكّر بها، ونعاتبهم حين لا يتضامنون مع همومنا ومشاكلنا؟

شيركو بيكه س: أنا لا أرى ذلك خطأ. الخطأ هو أنّ بعض المثقفين العرب الذين لا يُدْلون بأصواتهم صراحةً حول القضية الكردية يَنْظرون إلى الكرد كأقلية ويتعاطفون مع حقوقنا الثقافية واللغوية فقط، وينصحوننا وكأنّهم آباء لنا، ويتناسون بأنّنا لا نَشْحذ حقوقَنا وحريتَنا من أحد. لذا فالأجدر بهؤلاء المثقفين أن يَنْصحوا أنفسَهم وأن ينتقدوا أفكارَهم وأن يراجعوا مواقفَهم إزاء القضية الكردية والغريب أيضًا أنّ بعض المفكرين والمثقفين العرب الكبار، حين توجِّه إليهم سؤالاً حول القضية الكردية وحقِّ تقرير مصير شعب كردستان، يهربون بعيدًا ولا ينطقون بكلمة، أو يضعون شروطًا لجوابهم، أو يحاربون بعموميات ضبابية لا علاقة لها بالسؤال المطروح مطلقًا. فهل من المعقول مثلاً أن يَكْتب مفكّر ومثقف عربي وباستمرار عن العقلية المنفتحة، والاختلاف والديموقراطية والرأي الآخر، وحين يُطْلب منه أن يتحدَّث عن الشعب الكردي يغدو أخرسَ؟! وماذا تقول عن المثقف العربي الذي رأى بأمّ عينه، أو عبر شاشات التلفزة، القبورَ الجماعيةَ وبقايا المجازر التي ارتكبها صدّام حسين في كردستان أو العراق، لكنّه آثَرَ الصمتَ ولم يتّخذ موقفًا منددًا صريحًا ومعلنًا؟ أمّا أنا فاعتبره مثقفًا في عداد الأموات، رغم كونه حيًا فيزيولوجيًا! وفي الوقت نفسه لا يسعني إلاّ أن أحيِّي القلةَ الجريئةَ من الأقلام العربية الحرة التي وقفتْ صراحةً مع القضية الكردية ودافعتْ عن حق الكرد في الاستقلال وتكوين دولتهم القومية.

آزاد علي: نحن دائمًا نطالب بتضامن عربي واسع مع قضية الشعب الكردي لأنّنا نعتقد أنّ العرب أقربُ الشعوب إلينا. وهذا التضامن واجبٌ عليهم مثلما يتضامن الكردي مع القضايا العربية ويعتبرها قضيتَه الأساسية. وعندما نطالب الأوساط الثقافية العربية النظرَ بموضوعية إلى المسألة الكردية، فإنّ طلبَنا هذا يشكّل محكًا واختبارًا لديموقراطية هذه الأوساط بل ولإنسانيتها. ففي سوريا على سبيل المثال، هنالك تعتيم إعلامي على مسألة وجود ثنائية قومية في البلاد، وهنالك سعي حثيث لإخفاء مظاهر الثقافة الكردية، ولم يتمّ كسرُ هذا التعتيم إلاّ من قِبل عدد نادر من المثقفين العرب الديموقراطيين. فكيف يتمّ السكوتُ على وجود شعب كامل والسعي لمحو وجوده الثقافي والإنساني قبل حضوره السياسي؟

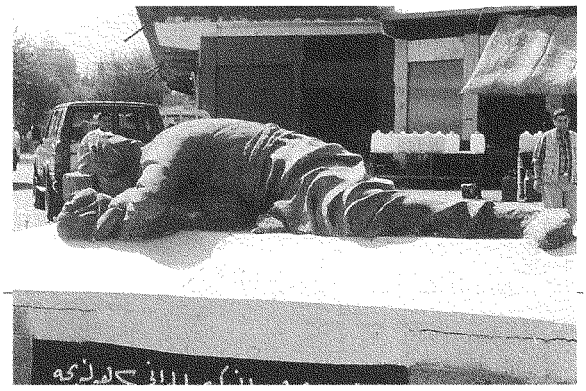

نصب عمر خاور، رمز شهداء حلبجه

خالد عثمان: إذا قرأنا التاريخ قليلاً فسنرى أنّ التضامن العربي ـ الكردي أدّى دورًا كبيرًا. مثلاً تضامَنَ الأكرادُ مع السوريين ضد الإنكليز والفرنسيين. وساندوا القضية الفلسطينية. كما تضامن الوطنيون الأكراد مع الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية على الساحة اللبنانية

إنّ تعزيز التضامن والنضال المشترك بين الشعبين العربي والكردي ينصبّ دومًا لصالح الاعتراف بحقّ الشعب الكردي في تقرير مصيره، وهو السبيل إلى إزالة كل العوائق التي وضعتها القياداتُ والأنظمةُ الدكتاتورية والقمعية والشوفينية التي تمارس العنصرية ضد الأكراد بهدف محو معالمهم القومية والحضارية. وللأسف يشارك هذه الأنظمةَ كثيرٌ من دعاة الثقافة العرب.

فاروق حجي مصطفى: لكنْ لماذا لم نستغلّ المبادرات العربية إلى عقد مؤتمرات للحوار العربي ـ الكردي، ولم نسعَ إلى منح الديمومة لها، خصوصًا وأنّ آفاق الحوار مفتوحة وممهّدة؟ هناك مَنْ يدعو إلى إعادة اللحمة بين العرب والأكراد، فلماذا نسدّ بابَ الحوار؟ لماذا لا نبدي رأيًا مخالفًا للرأي السائد داخل الأحزاب القومية العربية والكردية؟

شيركو بيكه س: نحن مستعدون لأيّ حوار ديموقراطي يَضْمن حريتنا واستقلالنا وكرامتنا، ودون أية شروطٍ تنقص من إنسانيتنا نحن نريد حوارًا يستمر على أرض الواقع مباشرةً بعيدًا عن العموميات التي لم نجنِ منها شيئًا على الإطلاق. أنا شخصيًا مع أيّ مؤتمر أو دعوة للحوار الجادّ، لكنْ يجب أن يكون الحوارُ على أساس الندّ للندّ. كما أنّني أعتبر أنّ استقلال كردستان سيكون في النهاية لصالح العرب والمنطقة بأسرها، عكسَ ما تتصوَّره العقلياتُ العربيةُ المتطرّفة.

المهمّ هو تغيير الفكر جذريًا والاعترافُ بأنّ هناك شعبًا كرديًا لقد وصل تعدادُ هذا الشعب في الوقت الحاضر إلى ما لا يقلّ عن ٣٥ مليون نسمة، يعيشون على أرضهم منذ آلاف السنين، ولهم لغتُهم وتاريخُهم وآدابُهم. والحلّ الأمثل والمنطقي في هذه المرحلة هو إجراء استفتاء عامّ وحرّ في كردستان، وبإشراف الأمم المتحدة والهيئات الدولية، ويُسأل الكردُ في كردستان ـ العراق «هل تريدون البقاءَ داخل العراق أم لا؟» ولتكن إرادةُ الشعب الكردي هي الحَكَمَ. فاذا اختار الكرد العيش داخل العراق فلنَحترمْ هذه الإرادة، وإنْ أرادوا الاستقلال فلنحترم ذلك أيضًا.

آزاد علي: في حدّ علمي لم تكن هنالك مبادراتٌ عربية تدعو إلى الحوار العربي ـ الكردي والمعروف أنّ مؤتمر الحوار العربي ـ الكردي الذي عُقد في القاهرة [عام ١٩٩٨] كان بمبادرةٍ ومشاركةٍ من بعض الأوساط السياسية في مصر وكردستان ـ العراق فقط، وكانت خطوةً مباركةً على أية حال، إلاّ أنّها للأسف لم تستمر وتتعمّق وتتّسع. ويجب أن نعمل جميعًا على ترسيخ ثقافة الحوار وترجمةِ ذلك عمليًا، وبكافة السبل المتاحة.

أما بخصوص طرحك عن إمكانية التأسيس لرأي مخالف لرأي الأحزاب القومية، فيُمْكن للفعاليات الثقافية أن تؤسّس لرأيها المستقل في القضايا التي تهمّ علاقةَ العرب والكرد. ولكنْ باعتبار أنّ هذه العلاقة تظل في الحقل القومي فإنّها متقاطعة بالضرورة مع سياسات الأحزاب القومية من الطرفين ـ وهذا ليس عيبًا أو خطأً في الإطار العام.

خالد عثمان: مهما تكن المسافةُ بين الأكراد والعرب بعيدة، فإنّها ستتقلّص عندما يعترف الواحدُ من الفريقيْن بالآخر والحوار ضروري بينهما، خصوصًا في ظل التطورات المتلاحقة في منطقتنا. علينا، أكرادًا وعربًا، أن نكون من أنصار جبهة الحوار لا جبهة المقاطعة والاستعلاء وعلينا ألاّ نعيش في الأوهام ونتركَ أمورَنا بأيدي الآخرين ليقرروا مصيرنا.

شيركو بيكه س

شاعر، ورئيس مركز سردم لطباعة ونشر الثقافة الكردية، ووزير الثقافة السابق في حكومة إقليم كردستان في السليمانية

خالد عثمان

سياسي كردي لبناني، ورئيس الجمعية الخيرية الكردية اللبنانية

آزاد علي

باحث وكاتب سياسي وروائي يحمل درجة الماجستير في تاريخ العمارة